الـــرحـــالـــة الجـــدد إلى الـــتـــيـه!

بعثة المدى
بيان البكري -فؤاد مطلب

ها نحن أولاء نحط رحالنا اليوم في الصقلاوية القضاء التالي مباشرة للمدينة المجتاحة والذي سمعنا أنه استقبل العدد الأكبر من عوائل الفلوجة. وقفنا عند ثانوية الأمل أولاً بعدما سمعنا بأن أكبر عدد من العوائل تقطن فيها ، ضحكنا بمرارة عندما لاحظنا التناقض الحاد بين الإسم الخارجي وبين الحال التي يعيشها الرحالة إلى هذه المدرسة. لقد رحلوا ولكن إلى التيه ، إلى صحراء تدور وتدور بهم بلا أمل بالخلاص منها. لقد رأينا الوجوه التعبى والأجساد الناحلة واللون الأصفر وهو ينتشر في كل شيء حتى في النظرات.

المدرسة

لقد وجدنا أن ست عشرة عائلة تقيم في هذه المدرسة الخربة وكل عائلة أخذت غرفة صف واحدة وقد عملوا قواطع من القماش بين غرفة وأخرى وهي شيء رمزي لأن المدخل إلى الغرف واحد والنساء منتشرون بين الغرف من أجل الطبخ، هذه القواطع مجرد عازل رمزي بين العوائل يريد الحفاظ على تقليد الستر لا أكثر مع علم الجميع بأنه لم تعد هناك حدود بينهم فلقد أصبحوا عائلة واحدة!.

المرافق الصحية عاطلة عن العمل سوى واحدة تفوح منها الرائحة التي لا يمكن للإنسان أن يتحملها تحت وطأة أقسى الظروف ، والمغاسل والحمامات لايتوفر فيها الماء فضلاً عدم توفر الكهرباء أصلاً شبابيك المدرسة كلها مكسرة والأبواب مخربة ومفتوحة على الساحات الواسعة بوسع تيههم الذي لم ينته بعدلقد نسوا طعم اللحم وقبل يومين فقط تبرع لهم أحد الأشخاص بكيلو من اللحم لكل غرفة لأن لديه عزاء فقرر توزيع اللحم على التائهين في المدرسة، وهي المرة الوحيدة التي تذوقوه فيها منذ ثلاثة أشهر. إنهم يعيشون معاناة لا حدود لها بانتظار أي أحد يأتي إليهم ويسألهم عن احتياجاتهم ، قالوا لنا بأنهم أصبحوا يثقون بأي أحد يطلب منهم بطاقتهم التموينية إذا ما وعدهم بجلب شيء لهم لقد قالت لهم: منظمة الإغاثة العاجلة التابعة لوزارة الصناعة بأنها ستجلب لكل عائلة مدفأة وأعطوهم البطاقة الغذائية منذ أسبوع ولم يحصلوا على أي شيء بعد

وما زالت القوات الأمريكية التي تعسكر أمامهم تحاصرهم فقبل عشرة أيام ضربوا أحدهم بواسطة القناص لأنه كان يقف على الباب الرئيس للمدرسة عند الساعة الخامسة مساء ولذلك أبلغوهم بعدم الخروج من بيوتهم بعد الساعة الخامسة وهم يمنعون انتقال أي أحد خارج القضاء. لقد كانوا محاصرين مع الفلوجة وزال عنهم الحصار قبل أسبوعين تقريباً مع زوال الحصار التام عن الاولى.

حالات

التقينا أولا بنعمة كريم شهاب الذي كان يسكن في حي الضباط فسألناه : عما اذا وصل اليهم أية مساعدات، فقال : جاءتنا جمعيات خيرية عراقية كثيرة وأعطونا بعض الأمور البسيطة وجاءتنا هيئة علماء المسلمين ولكنهم عملوا لنا إحصاء فقط ولم يجلبوا لنا شيئاً بعد وبعض الوكلاء أعطونا حصة تموينية ولكن بعضهم لم يعطونا بعد ، ولم تصل إلينا أية إمدادات بالغاز أو النفط ولا على مدفأة لأي أحد وبعض العوائل تستخدم الحطب لأن سعر لتر النفط ثلاثمائة دينار وهو غال بالنسبة لنا مع بطالتنا وعندما يأتي الغاز إلى المحطات يقولون لنا بأنه نفد ، وجامع الأنوار تأتي إليه المساعدات وفي الليل تنقل إلى أماكن مجهولة فضلاً عن عمليات التسليب والسرقة وغيرها، وقد وزعوا علينا بطانيات وقطعتي اسفنج للنوم عليها ، جاء إلينا أحد الخيرين ووزع لنا لكل عائلة (جولة) نطبخ عليها وبعض العوائل باعتها في السوق لتشتري الطعام ، وطارق ابني يعيش معنا هو وزوجته وأطفاله وقد عزل مسافة تكفي له ولامرأته بواسطة خزانات الكتب المدرسية

❖كم هو عدد أفراد عائلتك ؟

-نحن ستة عشر فرداً ،نعيش في غرفة واحدة في غرفة مديرة المدرسة وقد جاءتنا بنفسها وطلبت منا أن نحافظ على أثاث الغرفة والرحلات والمقاعد الدراسية فقط وأعطتنا المفاتيح

❖وكيف يمكنكم شراء ما تحتاجونه الآن؟

-تعلم أننا عاطلون عن العمل. لقد كنت أعمل حداداً في الصناعة وليس لدي وظيفة ولا لأولادي، والآن ليس لدي مصدر مالي يسد ما نحتاجه ولولا أن لدي بعض المال لكنت أستجدي الناس في الشارع والآن بدأت نقودي بالنفاد وبدأت ببيع ما نملكه في منزلنا مما هو غير ضروري مثل الأغطية الزائدة وأثاث البيت البسيط الذي تمكنا من إخراجه من الفلوجة لكي نشتري الطعام ولوازمه فقط

❖هل تعودون الآن إلى المدينة ولم يتوقف القتال فيها بعد ؟

-كلا لا نستطيع العودة الآن فقد أبلغونا بأن القتال ما زال مستمرا وأن لا أحد يتحمل مسؤولية موت من يقرر الدخول إليها ، ثم ما نفع الدخول الآن وأنت لا تستطيع التحرك هناك ولا العمل ولا التسوق ومن يدري بأنه ما زال يمتلك بيتاً هناك لكي يرجع

اربعة امتار

تركنا السيد نعمة وتوجهنا بالحديث إلى السيد ستار حميد أبو أحمد الذي يسكن في بيتونة المدرسة التي تحتوي على سلمين وتتكون عائلته من اثنين وعشرين فرداً مع أخية وعائلته وهو على اية حال حدثنا عن هذا المكان الغريب.

فقال : البيتونة مساحتها اربعة أمتار مربعة في الصيف كنا مرتاحين لأننا ننام على سطح المدرسة ولكن عندما جاءنا الشتاء حلت الكارثة بنا فقد كنا ننام فيها على الرغم من شدة البرد وبعد ذلك فرغت إحدى الغرف لأن ابنهم توفي إثر مرضه وحدوث مضاعفات لديه وقد طلب من الأمريكان أن يسمحوا له بالخروج من القضاء لعلاجه ولكنهم رفضوا فبقي الطفل بحالة مزرية حتى توفي واسمه رحمن يوسف الجميلي وعلى كل حال فالغرفة غير كافية لنا كلنا وهي كبيرة الحجم لا تكفيها المدفأة الوحيدة التي نملكها إنها أشبه بالسجن

❖ألم تستطيعوا إخراج أي شيء من بيتكم القديم ؟

-كلا لم نستطع إخراج أي شيء لأننا بقينا في الفلوجة حتى اللحظات الأخيرة فليس لدينا من يستقبلنا بسبب كبر عدد عائلتنا

❖وكيف هو وضع المرافق الصحية هنا؟

-المرافق لا تتوفر هنا. هل تعلم أنني لم أغتسل منذ عشرين يوما، واليوم ذهبت إلى بيت صديقي واغتسلت عنده ونحن عملنا أغطية خارج المدرسة لكي نغتسل ، ونضطر لإخراج العائلة كلها خارج الغرفة ليغتسل أحدنا وخاصة النساء.

الراتب فقط!

ونحن نهم بالخروج نادتنا امرأتان يريدان الشكوى لنا فتوجهنا إليهن فقالت الأولى :

-أنا إيمان كريم كنت مدرسة في معهد إعداد المعلمات في الفلوجة والراتب هو مصدرنا المالي الوحيد ولم نتسلمه لمدة شهرين ولم تصلنا مساعدات مالية ولا مواد غذائية من أحد غير الأغطية وقطع الإسفنج للنوم فهل من الممكن أن توفر لنا مساعدات ولو بسيطة أو أن تعمل وزارة التربية على إيصال رواتبنا السابقة لنا وأنا امرأة لا أستطيع الذهاب إلى مسؤول الحسابات الذي يسكن ربما في العامرية لكي أطلب منه الراتب فضلاً عن خطورة الطريق بالنسبة لي الآن.

مرض الطفلة

وأما السيدة الأخرى وهي كبيرة العمر فقد قالت :

-أنا حنان هلال أم زينب ظروفنا تعسة جدا ولدي طفلة تبلغ من العمر ثلاثة أشهر وهي مريضة تعاني من فتحة في القلب ووالدها ظروفه غير جيدة ويجب أن تتلقى علاجا غاليا جدا ويجب أن يأخذها إلى بغداد كل شهر وليس لديه المال الكافي لذلك فالمراجعات صعبة ومكلفة فهل من الممكن إيجاد حل لهذه الطفلة البريئة بأي شكل؟.

تركنا السيدتين ونحن لا نعرف ما نقول لهم ، تركناهم وكلهم أمل بمحاولة بإيصال أصواتهم إلى من يريد أن يستمع إلى معاناتهم وحملنا معنا الشكوى على جامع الأنوار متوجهين إليه بوصفه مقر الإغاثة العاجلة لأهالي الفلوجة وهو مركز أبي بن كعب وهناك وجدنا يحيى غازي عضو لجنة الإغاثة لفرع الصقلاوية والشيخ وليد خالد عبود مدير الإغاثة في المركز فسألناهم عن لجنة الإغاثة ، طبيعتها وعملها فقال لنا عضو اللجنة .

مابين الاغلاق والفتح

-لجنة الإغاثة هي غرفة عمليات شكلت في وزارة الصناعة وتضم ممثلين من كل الوزارات العراقية برئاسة حاجم الحسني ، ومنذ بداية النزوح إلى الصقلاوية منذ الشهر العاشر تقريبا كانت لدينا مدرستان ولذلك أجلنا الدوام فيهما وكان العمل في البداية بسيطا نجمع من الخيرين الأموال ونشتري للنازحين ما يحتاجونه من أغذية وبعد الإجتياح ازداد عدد العوائل النازحة لأن الصقلاوية هي المنفذ الوحيد وقد حاصرتها القوات الأمريكية مع الفلوجة ولذا أصبحنا نعاني ما يعانونه من جوع ونقص في الأغذية والخضراوات والغاز والنفط والعلاج كانت الأمور مأساوية فعلاً وبقينا محاصرين لمدة أسبوعين وتفاوضنا مع الأمريكان وفتحوا لنا منفذا واحدا لمدة يوم واحد ثم أغلقوه فرجعنا إليهم ففتحوه لمدة يومين وأغلقوه مرة ثانية فذهبنا إليهم مرة أخرى ففتحوه وهكذا بقي الغلق والفتح حتى فتحوه أخيراً بالكامل قبل أسبوعين

❖ما الذي قدمتموه في هذه المحنة لأهالي الفلوجة ؟

-وزارة الصناعة أرسلت إلينا عشرين ألف غطاء وزعناها على العوائل المنتمية إلى مركزنا ثم أرسلوا لنا مائة خيمة وزعناها على من يحتاجها ثم أرسلوا عددا من قطع الإسفنج للنوم وقد قمنا بتوزيعها وأرسلت لنا وزارة التجارة ستمائة وأربعين كيس طحين فقط علما بأن لدينا أكثر من أربعة آلاف نسمة وبعد ذلك أرسلوا لنا ثلاثة آلاف وسبعمائة كيس يحتوي كل واحد على تي شيرت وملابس داخلية وأخيرا أرسلت أربعمائة كيس رز وهذا كل ما حصلنا عليه من غرفة الإغاثة

❖وهل حصلتم على مساعدات خارجية ؟

-نعم تبرع لنا أغنياء المناطق المجاورة ببعض الأموال التي اشترينا بها بعض المواد الغذائية ووزعناها للعوائل وبعض المناطق أرسلت إلينا مساعدات جمعوها من البيوت وتيار الصدر أرسل النفط إلى جامع الأرقم ولم ترسل لنا وزارة النفط لا النفط ولا الغاز ولا البنزين وكل ذلك طلبناه منهم ولكنهم لم يرسلوا لنا أي شيء

❖وكيف يتم التوزيع ؟

-لدينا وكلاء لكل مجموعة يكونون مسؤولين عن التوزيع وقبل ذلك نسأل عنهم ويجمع القوائم والبطاقات التموينية ويتسلم منا كل ما يأتي إلينا وهو الذي يهتم بتوزيعه فقد وزعنا الطحين بواقع خمسة وعشرين كيلوغراما لكل عائلة مع العلم أننا نعلم أن بعض العوائل صغيرة وبعضها كبيرة ولكن هذا السياق هو الأسهل فأخذنا به وأما بالنسبة للخيم فقد نصبناها قرب البيوت لأن بعضهم يريد السكن قرب أقاربه ولم تنجح محاولة إنشاء مخيم كامل واحد

❖ما هي المعاناة التي رأيتموها أثناء عملكم ؟

-وجدنا بيتاً غير مسقف يسكن فيه ثمانون فردا ولذلك وضعنا أولويات في التوزيع فأولا أصحاب الهياكل وبعدهم أصحاب المخيمات وأخيرا أصحاب المدارس ماذا يراد من الوزارات.. وهكذا.

❖لقد وجدنا الناس يعانون من المشكلات الصحية ألم تفاتحوا وزارة الصحة لعلاجها ؟

-طلبنا من الوزارة فتح صالة عمليات وصالة ولادة لأننا لا يتوفر لدينا أي عيادات خارجية وقد أنشأنا البنايات الخاصة بها ولم تكتمل نهائيا بعد وأطباؤها من النازحين أنفسهم ووزارة الصحة وافقت على الطلب ولكننا عندما ذهبنا إلى المخازن قالوا لنا بأنه ليس لديهم سوى أكياس الدم . وقد وصلتنا مساعدات أدوية من الهلال الأحمر ومنظمة الإغاثة الإسلامية عبر العالم ورابطة الأطباء ووزارة الصحة حيث أرسلت لنا كميات من الشاش الطبي وأدوية الحروب وأدوية الحالات الخفيفة والسريعة وكميات قليلة من المضادات الحيوية لا تكفي فالمراجعون يصل عددهم إلى ثمانمائة مراجع يومياً والمستوصف يغلق أبوابه الساعة الثانية عشرة ظهرا لكي يحافظ على وجبته الشهرية وليس لدى المرضى سوى الرحمة الإلهية وقامت منظمة اليونيسيف مشكورة بحملة لقاح للأطفال ضد الحصبة

❖هل لديكم ما تطلبونه من الوزارات العراقية ؟

-ضحك الرجل وقال أكيد لدينا الكثير لنطلبه. نطلب من البلدية العمل على تنظيف القضاء وتوفير حاويات للأوساخ فيها وكابسات وساحبات وتوفير إطارات لتناكر الماء ومن وزارة الإتصالات نطلب قابلوات ومولدات لتوفير المياه وقد وعدتنا وزارة الصناعة بتوفير مولدات للمؤسسات الخدمية لكي تستعيد نشاطاتها. ومن وزارة الصناعة توفير النفط والغاز والبنزين. وفتحنا حواراً مع وزارة التربية من أجل رجوع الطلبة إلى مدارسهم وقالوا لنا بأن العام الدراسي بالنسبة لأهالي الفلوجة سيبدأ اعتبارا من الأول من شهر شباط ويعوضون الدوام في العطلة الرسمية الصيفية ولدينا الآن نية لتوفير الخيم الكافية لإخراج العوائل المقيمة في المدارس من أجل تسهيل عودة الطلبة إليها

لقد وجدنا بأن حجم الطلبات لا يمكن أن ينتهي بالنسبة للرحالة الجدد وفي الوقت نفسه فإن هذه الطلبات كلها لا يمكن أن تعود بالمواطن إلى أن يعيش حياته الطبيعية المستقرة ولو نسبيا ، لقد رأينا المواطنين وهم يفغرون أفواههم طمعا في حكومة عادلة تنظر إلى شعبها بعين الرعاية والعطف.

في منطقة الـ(C.C) بالحبانية
هياكل حديدية بيعت بـ(١,٥) مليون دينار للنازحين

بعثة /المدى

المكان هو الحبانية القريبة من مدينة الرمادي، والزمان هو وقت العصر من يوم ٢٠٠٤/١٢/٢٦ حينما توقفت سيارتنا بالقرب من مجمعات سكنية في منطقة (C.C) اكتشفنا أنها ليست سوى مقابر مفتوحة اسمها "هياكل" يسكنها مواطنون حكمت عليهم الظروف القاسية بالموت البطيء بانتظار غوث الحكومة، لتعيد لهم حياتهم المسلوبة، وبيوتهم التي أتى القصف على أكثر.. لقد التجأ النازحون إلى هذه الهياكل وبرزت لهم عشائر البو خليفة والبو مرعي مظهرة لهم الناب ومضمرة لهم العقاب إن لم يدفعوا ثمن هذه الشقق بحجة أنهم أصحاب الأرض. وأصحاب العوائل المساكين لم يجدوا بداً من بيع اقراط زوجاتهم وقلائدهن من أجل سداد مبالغ هذه الهياكل التي لا يساوي أحسنها مبلغ خمسمائة ألف دينار.

المواطن عبد الجبار عبد الرزاق وهو موظف من سكنة الحي العسكري في الفلوجة قال: لقد كنت اسكن في الحي العسكري ولما استشعرنا الخطر المحدق بنا اضطررنا إلى الخروج منه أنا وعائلتي المتكونة من سبعة أطفال إضافة إلى زوجتي. في البداية سكنت في الرمادي مع أحد أقاربي على أمل ان ينفرج الوضع في الفلوجة عن قريب، ولما طال بنا الانتظار ومع شعورنا بالحرج من المضيفين الذين لم يقصروا معنا في شيء والحق يقال قررت الرجوع إلى بيتي في الفلوجة مع علمي بالصعوبات البالغة التي تحيط بي،، رجعت إلى بيتي في الفلوجة ولم ألبث فيه سوى يومين اثنين حتى قررت الخروج نهائياً من المدينة إلى أن يتمكن السيد اياد علاوي من إقناع الأمريكان بأن أهالي الفلوجة بشر.

وبعد خروجك للمرة الثانية من الفلوجة إلى اين اتجهت؟

ذهبت إلى أخي الذي يملك شقة في مجمع الإخاء بالعامرية وما لبثت أن خرجت من شقته لأنها لا يمكن أن تحوي ٥٠ شخصاً وهذا كان عددنا مع عوائل أخواتي وأزواجهن وذهبت إلى الحبانية حيث هذه المجمعات السكنية التي لم يسمح لي بالتقرب منها ما لم أدفع مبلغ مليون ونصف وبالفعل دفعت فقط لكي استريح من رحلة التشرد المتعبة التي عانيتها مع عائلتي.

وماذا عن الخدمات في المجمع؟

الخدمات صفر٪ لقد دفعت مبلغ ٢٥,٠٠٠ ألف دينار لنصب عمود كهرباء ودفعت ١٠,٠٠٠ آلاف دينار من أجل مد الأسلاك وكذا فعل كل النازحين معي هذا بشأن الكهرباء، أما الماء فإننا نشتري من موظف الإسالة الكاز لكي يشغل لنا (المكينة) لمدة ساعة أو ساعة ونصف، لقد بدأنا نموت تدريجياً ولا احد يحس بنا لم يزرنا لا محافظ الأنبار ولا أي مسؤول آخر، ولجان الإغاثة عملها لا يفي بالغرض، إذ أنه في آخر زيارة لها وزعت فيها (٢٠٠) جوله على أربعة آلاف عائلة وفق نظام القرعة هل يعقل ذلك؟! أما عن البطاقة التموينية فبخلاف كلام مدير السايلو في الرمادي بشأن التسلم المباشر لمواطني الفلوجة بمجرد إبراز ما يثبت صحة المعلومات، فإن المماطلة والتسويف والروتين قائمة على قدم وساق، أكلمك الآن وقد نفد جميع ما لدي من الطحين والسكر والدهن، فهل يستطيع أحد أن يلومني إذا حاربت جميع صور الدولة (الكاذبة والمخادعة)؟! فليقل لي أحدكم لماذا يريد مدير الشركة التي أعمل فيها (شركة بدر احد تشكيلات وزارة الصناعة سابقاً) أن يحيلنا الى التقاعد في هذا الظرف وأنا شخصياً لم اتسلم راتبي منذ الشهر التاسع؟! وحينما تسلمته في الشهر العاشر لم اتسلم إلا مبلغ ٣٦,٠٠٠ ألف دينار من أصل ٢٠٠,٠٠٠ ألف الذي هو راتبي بسبب إدعاء المدير العام بأن الرواتب تعرضت إلى عملية تسليب في إحدى الطرق الخارجية.

وفي هذه الأثناء تدخل مواطن آخر اسمه جمال أحمد وهو موظف أيضاً وكان يعمل في الحراريات التابعة لوزارة الصناعة وقال: المشكلة الرئيسة هنا هي مشكلة النفط والغاز، برميل النفط وصل سعره إلى (٢٥) الف دينار ومع ذلك فهو مفقود وقنينة الغاز بـ(٤) آلاف دينار. افهمونا كيف سنتصرف إذا مرض أحد أفراد الأسرة لولا قيام بعض المحسنين بانتداب أحد الأطباء لمعالجة أفراد المجمع مجاناً؟

ومع أن أغلب العوائل النازحة قد تمكنت من تجميع مبلغ الشقق الهياكل إلا أن هناك الكثير من العوائل سكن المدارس لأنه لا يمتلك المبلغ المذكور.

المواطن علي حسين فياض كان من بين ١١ عائلة تسكن في مدرسة الهدى الابتدائية قال لنا: عائلتي مكونة من (٦) أفراد وأنا عسكري متقاعد، تنقلت في رحلة التشرد من الفلوجة بين عشيرة ألبو عيسى وعشيرة ألبو علوان لوجود الأقارب هناك الذين ضمنوا لنا الإقامة المؤقتة معهم إلى أن عثرت على هذا المكان الذي كاد يشهد موت ابني الذي أصابته النيران الأمريكية وهو راكب معي في سيارتي ولكن سلمه الله بعد إجراء العمليات اللازمة التي تبرع بها المحسنون. وأنا اتكلم مع المواطن علي حسين حدثتني النساء الواقفات عند أبواب الصفوف وشكون من شحة النفط والغاز كما شكون من قلة المواد الغذائية وخاصة الطحين والسكر وأخبرني أن المعونات الإنسانية لم تصل إلى المدرسة إلا مرة واحدة، فقط.

الناس هنا قلقون جداً على بيوتهم التي تأتيهم أخبارها بأنها قد تعرضت للهدم والسرقة. سألتهم لم لا تذهبون للاطمئنان على البيوت؟ فقالوا بأن القوات متعددة الجنسية تحرم علينا الدخول سوى إلى حي الاندلس وبيوتنا في حي الشهداء والعسكري وجبيل ونزال.